عولمة مرض السرطان

بقلم: لويز بوترتون

المدير العام للوكالة يوكيا أمانو يستمع إلى عرض يقدمه المدير الطبي لمستشفى أبوجا الوطني الدكتور سيغون أجوون في مرافق المستشفى. (أبوجا، نيجيريا، ١٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٩. الصورة: أفولابي سوتوند).

لقد أضحى مرض السرطان مرضاً عالمياً. فبينما كان السرطان يعتبر في الماضي مرضاً يقتصر على الأثرياء الكبار في السن، فقد بات يحصد حالياً حياة ما يربو على سبعة ملايين نسمة سنوياً، ٧٠٪ منهم في البلدان النامية.

ووفقاً للأستاذ بيتر بويل، وهو أحد الخبراء المرموقين في مجال السرطان ورئيس معهد البحوث الدولي لاتقاء السرطان، فقد «ساد الاعتقاد حتى فترة قريبة بأن مرض السرطان لا يضرب إلا البلدان الصناعية الغربية المرتفعة الدخل».

«ولكن زيادة مرتقب العمر وانتقال عوامل خطر الإصابة بالمرض من الغرب إلى البلدان المتدنية الدخل أديا إلى زيادة هائلة في عدد المصابين في هذه البلدان. ويتم حالياً تشخيص معظم حالات الإصابة الجديدة بالسرطان في البلدان المتدنية أو المتوسطة الدخل».

وبينما تزداد حالات الإصابة بالسرطان في العالم عموماً، فإن البلدان النامية هي الأشد تعرضاً لأزمة السرطان نظراً لأن الموارد الضرورية للوقاية من هذا المرض ولتشخيصه وعلاجه محدودة جداً أو غير متوافرة على الإطلاق في هذه البلدان.

ووفقاً لنانسي برينكر التي تقود حملة لمكافحة السرطان وتشغل منصب سفيرة النوايا الحسنة لمكافحة السرطان لدى منظمة الصحة العالمية، «يتمثل الواقع المرير في أن الكثير من البلدان النامية تواجه حالياً نقصاً حاداً في الوعي بهذا المرض وفي مرافق علاجه وفي الموارد الضرورية لعلاجه.

«إذ لا يخضع ضحايا السرطان في الكثير من البلدان للكشف الطبي أو للتشخيص أو للعلاج حتى آخر لحظة من حياتهم ولا يحصلون حتى على أدوية لتخفيف آلامهم.

وأردفت قائلة «إن السرطان ليس على الإطلاق مرضاً يقتصر على البلدان الثرية، ولكن إذا عجزنا عن التحرك الآن فإن علاجه والأدوية الضرورية لذلك سيصبحان من الكماليات التي لا تتاح سوى في البلدان الثرية. إن من واجبنا وبمقدورنا إنقاذ حياة الملايين من البشر خلال السنوات القادمة».

وكان الأستاذ بويل والسيدة برينكر يتحدثان أمام المشاركين في ندوة عن عولمة مرض السرطان نظمها في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩ في فيينا برنامج العمل من أجل علاج السرطان التابع للوكالة بهدف إبراز الآثار السلبية الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على مرض السرطان في البلدان النامية.

وبحسب الأستاذ بويل، يتعين مجابهة أزمة السرطان على أكثر من جبهة: «إذ ينبغي أولاً أن نحد عوامل الخطر، ومن ثم علينا تغيير مواقف الناس تجاه السرطان وإقناعهم بأن هذا المرض لا يشكل حكماً بالإعدام».

وأضاف قائلاً إن «علينا أيضاً تطبيق برامج للكشف عن السرطان حيثما أمكن كي نكتشف الإصابات مبكراً، ومن ثم علينا توفير الموارد والإمكانيات الجراحية وعلم الأورام والعلاج بالأشعة وكل ما هو ضروري للحصول على أفضل النتائج الممكنة».

وتأتي عوامل معدية كفيروس الورم الحليمي البشري والتهاب الكبد وفيروس نقص المناعة البشري في المرتبة الثانية بعد التبغ بوصفها من أكثر عوامل الخطر المسببة للسرطان في البلدان النامية.

ووفقاً للأرقام التي نشرتها منظمة الصحة العالمية، تضاعف عدد حالات الإصابة بالسرطان في العالم مرتين في الفترة بين عامي ١٩٧٥ و٢٠٠٠.

وأظهرت الأرقام الأخيرة التي عرضت إبان الندوة التي نظمها برنامج العمل من أجل علاج السرطان أن عدد الإصابات بالسرطان سيتضاعف مجدداً مرتين بحلول عام ٢٠٢٠ وبمقدار ثلاثة أضعاف تقريباً بحلول عام ٢٠٣٠ – وتشير التوقعات إلى أن ٢٦ مليون حالة جديدة ستُشخص بينما سيبلغ عدد الوفيات ١٧ مليون حالة وفاة.

وأشار مسعود سميعي، مدير برنامج العمل، إلى أن «معظم البلدان النامية لديها اقتصادات هشة للغاية ولا تخصص سوى ميزانيات ضئيلة لنظم الرعاية الصحية. لذا، ولدى ظهور أمراض جديدة إلى جانب الأمراض المعروفة جيداً كالملاريا وفيروس نقص المناعة البشري والسل أو لدى تزايد أعداد المصابين بها، فإن أزمة ستنشب».

وأردف قائلاً إن من الضروري إدراج مرض السرطان ضمن «جدول أعمال الصحة العالمي» لأن هذا المرض لا يحظى «بالقدر نفسه من الأولوية» مقارنة بالأمراض الأخرى.

وأضاف «إن مرض السرطان لا يشكل جزءاً من الأهداف الإنمائية للألفية. لذا فإننا نتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومع سائر وكالات الأمم المتحدة للفت أنظار الجهات المانحة وعامة الجمهور إلى هذا المرض، ولكي نبين أن السرطان هو أيضاً مرض مهم».

وشدد على الحاجة إلى توفير تمويل إضافي لمساعدة البلدا ن النامية على التركيز على الوقاية من السرطان وعلى اكتشافه مبكراً، ولتوسيع نطاق خدمات تشخيص السرطان وعلاجه حيثما اقتضى الأمر.

وخلال الندوة التي عقدت في فيينا، أشاد كل من السيدة برينكر والأستاذ بويل بالجهود المبذولة في إطار برنامج العمل الذي يساعد البلدان النامية على إقامة برامج مستدامة لمكافحة السرطان ودعيا إلى اعتماد «نهج جديد» للتصدي لأزمة السرطان العالمية.

رغم كون السرطان مرضاً فتاكاً، إلا أن الوقاية منه وعلاجه ممكنان إلى حد كبير لدى اكتشافه مبكراً.

وبحسب بيتر بويل فإن «التجمع العالمي لمكافحة السرطان مشرذم ويفتقر إلى الفعالية في الكثير من الأحيان مقارنة بالتجمعات العالمية الأخرى الناشطة في مجال الصحة، لذا وجب بث روح جديدة فيه وزيادة تركيزه وتحديد أولوياته». أما السيدة برينكر فدعت إلى «تعزيز الجهود لحشد الإرادة السياسية».

وشدد المشاركون على أنه رغم كون السرطان مرضاً فتاكاً، إلا أن الوقاية منه وعلاجه ممكنان إلى حد كبير لدى اكتشافه مبكراً، ولا سيما بالنسبة لأنواع السرطان الشائعة كسرطان الثدي والقولون والبروستاتا وعنق الرحم وسرطان الرأس والرقبة.

ويقول مسعود سميعي إنه «في حين يمكن للعلاج الفعال أن يزيد فرص بقاء المرضى على قيد الحياة وأن يقلص معدل الوفيات بالسرطان على المدى القصير، فمن شأن بعض التدابير الوقائية كالحد من التدخين وتقليص استهلاك الكحول وزيادة النشاط البدني واللقاحات ضد سرطان الكبد وعنق الرحم والكشف الطبي والتوعية أن تسهم إسهاماً كبيراً في تقليص عبء السرطان في العالم».

وخلصت الندوة إلى أن التنامي السريع لعبء السرطان في العالم يمثل تحدياً حقيقياً يواجه النظم الصحية العالمية ويتطلب تحركاً دولياً عاجلاً ومنسقاً.

لويز بوترتون، قسم الإعلام العام في الوكالة.
البريد الإلكتروني: L.Potterton@iaea.org